تَحْقِيقُ الأُصُول

للشَّيْخِ الإِمَامِ الرَّبَّانِي
أبي العبّاسَ أحْمَدَ زرّوق الفاسِيِّ
(٨٤٦-٨٩٩هـ)

بعناية
نزار حمادي

دار الإمام ابن عرفة
تونس

تَحْقِيقُ الأُصُولِ

الكتاب: تحقيق الأصول

المؤلِّف : الإمام أحمد زروق (ت٨٩٩هـ)

المعتني به: نزار حمَّادي

الناشر: دار الإمام ابنِ عَرَفة

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

تَحْقِيقُ الأُصُول

للشَّيْخِ الإِمَامِ الرَّبَّانِي

أبِي العبَّاس أَحْمَدَ زرُّوق الفاسِيِّ

(٨٤٦ ـ ٨٩٩هـ)

بعناية

نزار حمّادي

دار الإمام ابن عرفة

تونس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ شَيْخُ الحَقِيقَةِ وَإِمَامُ الطَّرِيقَةِ المُحَقِّقُ التَّقِيُّ الزَّكِيُّ العَالِمُ الرَّبَّانِيُّ أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى البُرْنُسِيُّ الفَاسِيُّ الدَّارِ المَعْرُوفُ بِزَرُّوقٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

الحَمْدُ لِلَّهِ

أَمَّا بَعْدُ، فَقَاعِدَةُ التَّحْقِيقِ لَيْسَ إِلَّا سَابِقَةَ التَّوْفِيقِ، وَخَيْرُ مَسْلَكٍ وَطَرِيقَةٍ، مَا وَصَلَ الشَّرِيعَةَ بِالحَقِيقَةِ، فَعَلَيْكُمْ **بِتَحْقِيقِ الأُصُولِ**، تَظْفَرُوا بِكُلِّ طَائِلٍ وَمَحْصُولٍ.

وَأُصُولُ مَذْهَبِنَا خَمْسٌ لَا مَزِيدَ عَلَيْهَا، وَلَا يَنْتَهِي كُلُّ كَلَامِ القَوْمِ إِلَّا إِلَيْهَا:

ـ **الأَوَّلُ**: ٱتِّبَاعُ السُّنَّةِ، فَإِنَّهَا العِصْمَةُ وَالجُنَّةُ.

ـ **الثَّانِي**: شُهُودُ المِنَّةِ، فَإِنَّهَا حُرِّيَّةٌ وَجَنَّةٌ.

ـ **الثَّالِثُ**: لُزُومُ الصِّدْقِ بِكُلِّ حَالٍ، فَإِنَّهُ سَيْفُ اللَّهِ المُذْهِبُ لِكُلِّ مِحَالٍ[1].

ـ **الرَّابِعُ**: لُزُومُ الجَمَاعَةِ وَتَرْكُ الفُضُولِ، فَإِنَّهَا عِصْمَةٌ وَسَلَامَةٌ مِنْ كُلِّ مَهُولٍ.

---

(١) مِحَالُ اللَّهِ: عقابُهُ.

ـ **الخَامِسُ**: النَّظَرُ إِلَى كَافَّةِ خَلْقِ اللَّهِ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِفْتَاحُ كُلِّ فَتْحٍ وَرَحْمَةٍ.

وَمَجَارِي هَذِهِ الخَمْسِ فِي خَمْسِ عَوَالِمَ:

۞ الأَوَّلُ: عَالَمُ النَّفْسِ:

وَيَنْبَغِي الرِّفْقُ بِهَا مِنْ غَيْرِ تَفْرِيطٍ، وَالتَّحَرُّزُ مِنْهَا مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ، بَلْ بِتَوَسُّطٍ فِي ٱحْتِيَاطٍ، بِحَيْثُ لَا يَخْرُجُ العَبْدُ عَنِ العِلْمِ، وَلَا يَتَرَخَّصُ بِمُجَرَّدِ الهَوَى، وَلَا يُشَدِّدُ بِمُقْتَضَى الوَسْوَاسِ؛ فَإِنَّ المَقْصُودَ مُوَافَقَةُ الحَقِّ، لَا مُخَالَفَةُ النَّفْسِ.

وَمَنْ ضَيَّقَ عَلَى نَفْسِهِ ٱتَّسَعَتْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَسَّعَ عَلَيْهَا أَهْلَكَتْهُ.

وَ«إِذَا وَافَقَ الحَقَّ الهَوَى فَذَلِكَ الشُّهْدُ بِالزُّبْدِ»، كَذَا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[1].

❁ الثَّانِي: عَالَمُ الخَلْقِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعَامَلُوا بِالرَّحْمَةِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ وَالحَذَرِ، وَٱعْتَقِدْ وَلَا تَنْتَقِدْ، وَلَا تَطْمَئِنَّ لِأَحَدٍ.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وذمِّ الغضب. (إتحاف السادة المتقين،ج٩/ص٤٧٧)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ حَذِرٌ فَطِنٌ**[1]**، ثُلُثَاهُ تَغَافُلٌ**[2]».

فَمَنْ نَظَرَ إِلَى الخَلْقِ بِعَيْنِ الحَقِيقَةِ عَذَرَهُمْ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الشَّرِيعَةِ طَالَتْ خُصُومَتُهُ مَعَهُمْ، وَالحَقُّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِمْ بِالحَقِيقَةِ، وَيَحْكُمَ عَلَيْهِمْ بِالشَّرِيعَةِ، فَيُنْصَفُوا فِيمَا قُدِّرَ قَهْرًا عَلَيْهِمْ، وَيُوَاجَهُوا بِمَا وَجَبَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي حَقِّهِمْ، مِنْ غَيْرِ تَنَقُّصٍ لَهُمْ،

---

(١) إلى هنا أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١٢٨)

(٢) يشير إلى التغافل عن عيوب ومساوئ الناس.

وَلَا يَصِحُّ ذَلِكَ إِلَّا بِٱعْتِقَادِ أَنَّ النَّقْصَ أَصْلُهُمْ، وَالكَمَالَ عَارِضٌ لَهُمْ.

۞ الثَّالِثُ: عَالَمُ الدُّنْيَا.

وَيَنْبَغِي أَنْ تُعَامَلَ بِالإِعْرَاضِ عَنْهَا، فَلَا يُعَذَّبُ الظَّاهِرُ بِطَلَبِهَا، وَلَا البَاطِنُ بِإِرَادَتِهَا، وَلَا يُتَكَلَّفُ الأَمْرُ فِي تَرْكِهَا، بَلْ يُدَارُ مَعَهَا كَمَا دَارَتْ.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «قَالَ لِي الصِّدِّيقُ فِي المَنَامِ: عَلَامَةُ خُرُوجِ الدُّنْيَا مِنَ القَلْبِ بَذْلُهَا عِنْدَ الوُجْدِ، وَوُجُودُ الرَّاحَةِ مِنْهَا عِنْدَ الفَقْدِ».

وَفِي الخَبَرِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَيْسَ الزُّهْدُ بِتَحْرِيمِ الحَلَالِ، وَلَا بِإِضَاعَةِ المَالِ، إِنَّمَا الزُّهْدُ أَنْ تَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِكَ**»[1].

وَقَدْ أَدَّبَ اللَّهُ تَعَالَى الأَغْنِيَاءَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾[النساء: ٥]، كَمَا أَدَّبَ الفُقَرَاءَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[النساء: ٣٢]،

---

(١) الترمذي (٢٧٧٠) وأحمد في الزهد (١٨) من كلام أبي مسلم الخولاني.

فَأَعْطَى كُلًّا حُكْمَ مَا هُوَ فِيهِ، عَلَى أَنَّهُ خَازِنٌ لَا مَالِكٌ، وَمُتَكَفَّلٌ بِهِ لَا مُوكَلٌ إِلَيْهِ.

۞ الرَّابِعُ: الشَّيْطَانُ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعَامَلَ بِدَوَامِ الذِّكْرِ وَاللَّجَأِ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ ﴿لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[النحل: ٩٩].

وَمَا هُوَ إِلَّا كَلْبٌ إِنِ ٱشْتَغَلْتَ بِهِ قَطَّعَ الثِّيَابَ وَمَزَّقَ الإِهَابَ، وَإِنْ رَجَعْتَ إِلَى رَبِّهِ صَرَفَهُ بِلُطْفٍ، وَأَدْنَاكَ بِتَوَجُّهِكَ إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ النَّفْسُ وَالخَلْقُ وَالدُّنْيَا وَجَمِيعُ المُؤْذِيَاتِ.

فَعَلَيْكُمْ بِاللَّجَأِ إِلَى اللَّهِ دَائِمًا، وَلَا تَعْتَدُوا فِي طَلَبِ الحَالِ ٱلَّتِي أَنْتُمْ بِهَا، وَلَا تُكْثِرُوا المَسَائِلَ فِي الوَقْتِ الوَاحِدِ فَإِنَّهَا قُفْلٌ، وَأَعْظِمُوا المَسْأَلَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ.

۞ الخَامِسُ: فِي مُعَامَلَةِ الحَقِّ.

وَمَدَارُهَا فِي الظَّاهِرِ عَلَى ٱتِّبَاعِ السُّنَّةِ بِالبَصِيرَةِ، وَشُهُودِ المِنَّةِ بِالتَّحْقِيقِ.

وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ أَنْ تَأْخُذُوا أَعْمَالَكُمْ عَنِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى حَسَبِ ٱسْتِنْبَاطِ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ، لَا ٱكْتِفَاءً بِٱجْتِهَادِكُمْ، وَلَا رُجُوعًا إِلَى التَّقْلِيدِ المَحْضِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيَ أَدْعُواْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ﴾ [النحل: ٤٣ - ٤٤].

وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[آل عمران: ١٠٢] **الآيَةَ**.

وَأَمَّا شُهُودُ المِنَّةِ فَمُصَادَقَةٌ فِي مُرَاقَبَةِ الأَحْوَالِ فِي أَحْكَامِهَا:

- فَعِنْدَ المَعْصِيَةِ بِالتَّوْبَةِ وَالِٱسْتِغْفَارِ وَإِنْ عَادَ فِي اليَوْمِ أَلْفَ مَرَّةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ.

وَقِيلَ لِلْحَسَنِ: الرَّجُلُ يُذْنِبُ ثُمَّ يَتُوبُ ثُمَّ يُذْنِبُ ثُمَّ يَتُوبُ إِلَى مَتَى؟! قَالَ: مَا أَرَى هَذَا إِلَّا مِنْ أَخْلَاقِ المُؤْمِنِينَ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ مُفَتَّنٍ تَوَّابٍ**»[1]، أَيْ: كَثِيرِ الذُّنُوبِ كَثِيرِ التَّوْبَة.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٠] وَصِيغَتُهُ لِلْكَثْرَةِ.

- **وَعِنْدَ البَلَاءِ بِالصَّبْرِ** وَهْوَ حَبْسُ القَلْبِ عَلَى حُكْمِ الرَّبِّ حَتَّى يَتَعَدَّى ذَلِكَ لِلْجَوَارِحِ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦٠٥) قال المناوي «**المفتَّن**» بفتح التاء مشددة مبنيا للمفعول، أي: الممتحَن بالذنب، «**التَّوَّابُ**» أي: الكثير التوبة، أي: الذي يتوب ثم يعود ثم يتوب ثم يعود ثم يتوب وهكذا. قال الحرَالِّي: «وهذا تأنيس لقلوب المجروحين من معاودة الذنب بعد التوبة منه». (فيض القدير ج٢/ص٢٨٩)

فَلَا تَضْطَرِبُ، وَمُنْتَهَاهُ الرِّضَا وَهْوَ تَلَقِّي المَكَارِهِ بِوَجْهٍ ضَاحِكٍ.

قَالَ عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «الرِّضَا بَابُ اللَّهِ الأَعْظَمُ، وَمُسْتَرَاحُ العَابِدِينَ، وَجَنَّةُ الدُّنْيَا».

وَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ٱعْبُدِ اللَّهِ بِالرِّضَى، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَفِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ**»(١).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٣٠٣)

ـ وَعِنْدَ النِّعْمَةِ بِوُجُودِ الشُّكْرِ وَهْوَ فَرَحُ القَلْبِ بِاللَّهِ، حَتَّى يَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى الجَوَارِحِ فَلَا تَعْصِي، بَلْ تَنبَسِطُ بِالطَّاعَةِ.

قَالَ الجُنَيْدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشُّكْرُ: أَنْ لَا تَعْصِيَ اللَّهَ بِنِعَمِهِ».

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يُغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ**»[1].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٧١٦) وصححه، ووافقه الذهبي.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٩] الآيَةَ.

ـ وَعِنْدَ الطَّاعَةِ مُشَاهَدَةُ التَّوْفِيقِ مِنَ اللَّهِ.

وَالحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالبُغْضُ فِي اللَّهِ، وَحُسْنُ العَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ.

وَلَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِثْلَ ٱلَّذِي تَرَى لَهُ.

وَٱكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ.

وَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْتَحِلُهُ وَأَخْتَارُهُ، فَنَافِلَةُ النَّهَارِ سِتَّةَ عَشَرَ: فِي الضُّحَى سِتَّةً، وَقَبْلَ

الظُّهْرِ أَرْبَعًا، وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ، وَقَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعًا، وَبَعْدَ المَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ، وَثَلَاثَةَ عَشَرَ مِنَ اللَّيْلِ.

كُلُّ هَذِهِ وَرَدَتْ مِنْ فِعْلِهِ ﷺ، وَلَمْ يَرِدْ أَكْثَرُ مِنْهَا، فَإِيَّاكُمْ وَالزِّيَادَةَ عَلَيْهَا، أَوِ العَمَلَ بِالأَحَادِيثِ البَاطِلَةِ، كَصَلَوَاتِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ الفَاضِلَةِ، وَسَلِّمُوا لِمَنْ عَمِلَ فَلِكُلٍّ نِيَّتُهُ.

وَلَا تُنْكِرُوا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا مَا ٱتُّفِقَ عَلَى تَحْرِيمِهِ، وَلْيَكُنْ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةٍ. وَدَعُوا الخَلْقَ

وَمَا دُفِعُوا إِلَيْهِ، فَمُرَادُ الحَقِّ مِنْهُمْ مَا هُمْ عَلَيْهِ.

وَالصَّوْمُ ٱلٱثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ؛ إِذْ لَا أَقَلَّ مِنْهَا، وَٱلَّذِي قَبْلَهَا هُوَ الوَسَطُ.

وَالوَسَطُ فِي التِّلَاوَةِ وَالخَتْمِ كُلَّ عَشَرَةِ أَيَّامٍ، أَوْ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَأَقَلُّهُ فِي سِتِّينَ، وَأَكْثَرُهُ فِي ثَلَاثٍ. وَلَا أُحِبُّ إِلَّا الوَسَطَ.

وَأُحِبُّ أَنْ لَا يُخْلِيَ الفَقِيرُ يَوْمَهُ عَنْ صَدَقَةٍ وَلَوْ لُقْمَةً لِكَلْبٍ أَوْ قِطٍّ، وَأَنْ يَدْعُوَ لِمَنْ ظَلَمَهُ، لَا عَلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُسَخِّرُهُ لَهُ.

وَالدِّينُ أَسَاسُ كُلِّ خَيْرٍ، فَكُلُّ حَالٍ سَالِمٌ حَتَّى تَصْحَبَهُ إِسَاءَةُ أَدَبٍ مَعَ اللَّهِ أَوْ عِبَادِهِ.

وَأَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ بِكُلِّ حَالٍ، وَالسَّلَامُ.

دار الإمام ابن عرفة
تونس